فلما بلغه ذلك قال والله ما علمت بمسيرهم حتى جاني مرمتهم هذا معنى ما في الروايات
على اختلاف الفاظها وهو ظاهر القران فلا معنى للعدول الى الوسوسة كما في الكشاف
لانه لا يسوغ العدول بلا ملجي والظاهر ان الكامل له ما تقدم في الاعراف من امتناع
رويه الشيطان وقد قدمنا ان المعلوم خلاف كلامه قوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد وقد قدمنا في مثلها في آل عمران شيا وملخصه هنا
ان العطف من قبيل عطف خاص على عام كانه قال ذلك بما قدمت ايديكم ولا سيما حقوق
المخلوقين التي لو لم تنتصف لهم منكم لكان ظلما ومنه حديث انا الظالم ان لم استنقذ من
الظالم واما صيغة المبالغة فلتعدد المفعول او لتعظيم الفعل كما في الكشاف والتعظيم
الفاعل كما قال ابن عباس فلذلك نقرا ربنا ان تكون مثل احد واما ان القبيح
يتعاظم بالنسبة الى صفاته العليه فهو على مذهب الوصفين بمنزلة التعدد والله اعلم
قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الاية هو تقرير لما مر وهو حصر سبب
التعذيب على عصيانهم فقال ذلك بان سنة الله ومقتضى رحمته لم يكن مغيرا لما
انعم اخلقه به من الفضل بسلب تلك النعم فضلا عن ارداف السلب بالنقم وقد
استوعب الحديث بامر عام يدخل تحته المحدث عنهم دخولا اوليا كنظائره وعلى
ما ذكرنا لا حاجة للسوال والجواب كما في الكشاف قوله تعالى ما كان لنبي ان
يكون له اسرى قد شرع لنا سبحانه التخيير بين ثلاث القتل والاسر والفدا
ولكن الوقائع تختلف قد تظهر المصلحة في بعضها في بعض الاوقات فيتعين على الامام
والمسلمين ايثار الاصلح فشاور النبي صلعم اصحابه وكان ابو بكر رضه رفيقا فاشار
بما راه رفقا وقال يا رسول الله قومك ولعل الله يهديهم وخذ منهم الفدا تتقوى
به اصحابك واشار عمر بالقتل وروى انه صلعم نظر الى سعد بن معاذ وقد تغير وجهه
فقال كان هذا يسوءك فقال اجل يا رسول الله انها لاول وقعة وقع الله باعدائه
وكان رايه مثل عمر ونظر رسول الله الى اصحابه فقال انتم اليوم عاله فلا يفلتن احد

منهم

منهم الا بفدا او قد كانت العرب بعد ان استيصالها امر النبي صلعم منتظرون ما يكون
من امر قريش ولذا دخلوا بعد الفتح في دين الله افواجا فلو ضربت اعناق الاسارى
وهم سبعون يعني روسا قريش مع السبعين الذين قتلوا لهان امر قريش عند
العرب واستعظموا امر النبوة وقربهم ذلك من الاسلام وكان هذا الامر
ليس بالخفي فاشق للنبي صلعم ان وافق اصحابه في محبتهم الارتفاق بالفدا وحرص على
اسلام من عسى ان يسلم من قومه وكان امرهم كما قال الله سبحانه في يونس عليه الصلوة
والسلام فظن ان لن نقدر عليه فنبه الله بعتاب رسوله صلعم بقوله ما كان لنبي
ان يكون له اسرى ثم عم بالعتاب وقال لولا كتاب من الله سبق الاية وهذا
ليس من الخطا في الاجتهاد الذي يستخرج به الاحكام الكلية وبعد من التبليغ بل
من العمل في الجزئيات لحكمه صلعم بنحو ما يسمع من الشاهدين ومصالحته ثلث ثمار المدينة
واذنه للمنافقين ونزوله في اول مياه بدر قبل ان شوروا عليه ونحو ذلك فالتعديد
المفروض للتساهل في تحريهم الاصلح العائد الى عامة الدين وايثارهم للرفق الخاص هذا لمن
بمظنة التخيير فلا معنى لما في الكشاف لانه تعالى لا يعذب على الخطا في الاجتهاد بل للمجتهد ان
له في العفو عنكم حكمة وفي تعذيبكم حكمة ايضا لكنه سبحانه اختار بعد حلمكم حسن العذر
وكتب الكتاب ان يعفو عنكم ونت الحكم بذلك ونظره ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب ونحو ذلك فاحفظها كلية تسلم من خبط
كثير يقع في مواقعها وقد رزقنا الله سبحانه استكار هذا المعنى حيثما كررناه في
العلم الشامخ والحمد لله سورة براة لما كان كل سورة من القران مصدرة بالبسملة
استغرب تجريد براة عنها واستعل يذكرونه الاقاويل حامل على الاستغراب والذي
عليه نزولها بالسيف انما يكون لطالب الناسبة للحكمة وليس ذلك بواضح واخرج
الدارقطني في الافراد عن عسعس بن سلامة قال قلت لعثمان يا امير المومنين ما بال
الانفال وبراة ليس بينهما بسم الله الرحمن الرحيم قال كانت تنزل السورة

Copyright © King Saud University